

شعر عنتره بين المركز والهامش

طالب الدكتوراه: شريقي محمد لمين

ت.إ. الدكتوراه أحلام بن الشيخ

مخبر النقد ومصطلحاته

جامعة قاصدي مرباح ورقلة / الجزائر

aminecharif29@gmail.com

Received: 11, 2020

Revised: 01, 2021

Accepted: 04, 2021

الملخص :

عرف المجتمع العربي قبل الإسلام كغيره من المجتمعات نظاما مركزيا يعتمد القبيلة كنواة أساسية لبناء المجتمع و سن القوانين والنظم لتسيير شؤون الحياة الاجتماعية والاقتصادية في السلم والحرب ، وكل من لم يسر في فلك هذه التنظيمات – ولو كانت جائرة- أو عارض أو انتقد السلطة المركزية كان نصيبه التهميش على كل الأصعدة ، والتهميش ظاهرة إنسانية لم يخلو منها زمان ولا مكان ، لأن هذه سنة الحياة فالمسيطر دائما شعاره " لا أريكم إلا ما أرى "، وفي هذا البحث سنحاول تتبع أسباب تهميش الشاعر عنتره بن شداد العبسي من طرف قومه كما فصلها في ثنايا شعره ، حيث نستخلص أسباب استهجانته واستبعاده ، المتمثلة في سواد بشرته وعبوديته ثم نسبه المجهول في أول حياته و تجاسره على حب ابنة عمه والتغزل بها في أغلب قصائده وقد أسهب في ذكر هذه العوامل المؤثرة في نفسه وشخصيته وأسهب كذلك في الدفاع عن نفسه وفرض مكانته التي يستحقها .

Abstract: The Arab society before Islam, like other societies, knew a central system that adopts the tribe as a basic nucleus for building society and enacting laws and systems to manage the affairs of social and economic life in peace and war, and anyone who did not facilitate the astronomy of these organizations - even if they were unfair - or opposed or criticized the central authority was marginalized at all levels, and marginalization is a human phenomenon that has not been without time and place, because this year of life is always dominated by its slogan "I do not show you except what I see", and in this research we will try It follows the reasons for the marginalization of the poet Antara bin Shaddad al-Absi by his people as he separated it in the folds of his poetry, where we draw the reasons for his disdain and exclusion, represented by the blackness of his skin and slavery, and then his unknown lineage at the beginning of his life and his dare to love his cousin and flirt with her in most of his poems and he dwelled in mentioning these factors affecting himself and his personality and also dwelled in defending himself and imposing his place he deserves.

المقدمة :

لكل أمة من الأمم أعراف يضعونها لتنظيم شؤون حياتهم وفق معتقداتهم، ووفق نمط حياتهم الاجتماعية ثم البيئة التي يعيشون فيها والجهة الوصية على التقيد بهذه الأعراف وتنفيذها هي المركز المسيطر وكل ما شذ عن ذلك فهو مهمش منبوذ عندهم ، العرب في الجاهلية أمة امتازت بنظام قبلي عام يعتمد على ركيزة أساسية هي القبيلة التي مثلت النواة الأولى لنشأة المجتمع القبلي وهو يتشابه عند كل القبائل ويتفاوت اختلافاً عند بعضهم ، تتكون القبيلة من الناحية الاجتماعية إلى ثلاث طبقات مثلت الطبقة الأولى الصرحاء أو الأصلاء وهم الذين ينتمون لجد واحد فمنهم يكون السيد وراثته أو بالانتخاب وهم عماد القبيلة وأساسها وتناط بهم مسؤولية حمايتها وهناك من يقوم على خدمتهم من أبناء الطبقات الأخرى أما الطبقة الثانية من طبقات القبيلة فهي طبقة العبيد والموالي وافرادها هم من الرقيق عربا كانوا أو غير عرب ، فأما العرب فهم الذين كانوا يجلبون من البلاد المجاورة أو القبائل المجاورة إذ كانت الحروب دائمة بينهم لذلك كان السبي يطال الرجال والنساء على حد سواء فكانوا عبيداً للقبيلة الأسرة لهم .

وأما الرقيق من غير العرب فقد كان مصدره البلاد المجاورة للجزيرة العربية كالحبشة وغيرها من الأمم الأخرى. أو يكونوا من وقعا أسرى لدى القبيلة ولم يتمكنوا من فك رقابهم فظلوا عبيداً فيها وتعد طبقة الحلفاء الطبقة الثالثة من طبقات القبيلة ، والحلفاء هم الأحرار الذين التجأوا للقبيلة من قبائل عدة لأسباب مختلفة فقد يكونوا من الخلعاء أو من الضعفاء الذين يبغون الحماية أو ممن يطلبون المعيشة في حمي القبيلة الحالية وهنا تتولد رابطة حلف بينهم وبين القبيلة التي لجأوا إليها. (الخطيب، 2018)

وقد كان للشاعر في القبيلة مكانة عظيمة وخاصة إذا كان فارساً مشهوراً، لكن كيف كان الحال مع عنتر بن شداد في قومه وهو الشاعر المجيد والفارس الصنديدي ؟ وهو أسود من طبقة العبيد فكيف تجلى ذلك في شعره؟ هل كان من علية القوم وسراتهم ، أم كان وضيعاً مهمشاً ؟

- الهدف من هذه الدراسة تبيين الأسباب التي جعلت حياة عنتر متأرجحة بين المركزية والتهميش في صراع نفسي سببه عقدة النقص عنده من اللون والعبودية .

- وتكمن أهمية الدراسة من خلال مجموعة من الإسقاطات باستخدام المنهج النفسي للأدب للوقوف على ظاهرة التهميش التي لم يخلو منها عصر من العصور، ولم تقتصر على أمة دون أخرى .

تتقسم هذه الدراسة إلى مبحثين نظري وتطبيقي.

1- المبحث الأول :

هو الإطار المفاهيمي : نعرف من خلاله بعض المفاهيم والمصطلحات التي يركز عليها البحث

- **مفهوم الهامش :**
لغة : الهمش الجمع ، ونوع من الحلب والعض وهمش كضرب : أكثر الكلام وامرأة همشى كجمزى كثيرة الجلبة والهامش حاشية الكتاب ... (الفيروزابادي، الصفحات 2-335)، فهي ليست شديدة الصلة بمعنى التهميش الذي نريده ، وإنما المراد المعنى الموضوع بالترجمة كمعادل للكلمة الاجنبية (marginal)، والهامش أنواع : ففيه الاجتماعي والسياسي والاقتصادي ..

مفهوم المركز :

لغة: من الجذر ركز يأتي بمعاني: ركز الرمح يركزه ويركزه غرزه في الارض كركزه والمركز : وسط الدائرة ، وموضع الرجل ومحلّه وحيث أمر الجند أن يلزموه (الفيروزابادي، الصفحات 198-199) **اصطلاحاً :** مأخوذ من التعريف اللغوي لما له به من صلة، إذ يمثل الجهة المتمكنة والمركزية التي لها القوة والقدرة على التحكم والتسيير وله عدة تفرعات بحسب التخصص فمنه المركز السياسي والاقتصادي والاجتماعي والثقافي ومنه السلطة والحكم ...

التفسير النفسي للأدب :

من الضروري أن نعرف سبب ميلنا للتفسير النفسي للأدب دون غيره في خضم المناهج الأدبية والنقدية فلا نجد أحسن من كلام يقوله الدكتور عز الدين اسماعيل في افتتاحية كتابه أن " العلاقة بين الأدب والنفس لا تحتاج إلى إثبات ؛ لأنه ليس هناك من ينكرها وكل ما قد تدعو الحاجة إليه هو بيان هذه العلاقة ذاتها وشرح عناصرها. على أي نحو يرتبط الأدب بالنفس ؟ أيستمد الأدب من النفس أم تستمد النفس من الأدب ؟ أم أن العلاقة بينهما علاقة تبادل من التأثير والتأثر ؟

إن النفس تصنع الأدب ، وكذلك يصنع الأدب النفس . النفس تجمع أطراف الحياة لكي تصنع منها الأدب . والأدب يرتاد حقائق الحياة لكي يضيء جوانب النفس والنفس التي تتلقى الحياة لتصنع الأدب هي النفس التي تتلقى الأدب لتصنع الحياة . إنها دائرة لا يفترق طرفاها إلا لكي يلتقيا (د. عز الدين، صفحة 5) وهذا التفسير النفسي يعتمد على منهج له طوابطه وألياته.

المنهج النفسي هو واحدة من القراءات النقدية التي استهدفت قراءة النص الأدبي من خلال تحليل شخصيات الأدباء وتتبع آثارهم ومجريات حياتهم التي دونوها، واعتبار العمل الأدبي يعكس حياة الأديب أو الفنان هذا العمل الذي ينبع من الشعور أو اللاشعور على حد سواء

خصائص المنهج النفسي :

- يعرف شخصية الأديب من خلال شعره وما تتسم به نفسيته من ألم وحزن وفرح وغير ذلك
- تفسير الظواهر الفنية والجوانب الجمالية استنادا الى عوامل نفسيه .
- تطبيق نتائج علم النفس على شخصيات الأدباء ونتائجهم الأدبي .
- البحث في أثر البيئة على شخصية الأديب عند التحليل . (زينب محمد نور و سارة تمكين شداد، 2018، صفحة 10)

لسنا هنا بصدد الحديث عن التحليل النفسي الاكينيكي ، ولا نعتبر الأديب مريضا نفسيا تلزمه المتابعة والعلاج ، وانما نتوخى الحديث عن الشعور واللاشعور-العقد – الخيال – الاحلام لدى الأديب لأنها مكونات طبيعية للنفس البشرية ، وتتجلى مخرجاتها في الأعمال الفنية ، النفس التي تأبى الانصياع والرضوخ للواقع المؤلم ، تحاول تجاوز العقبات من خلال مجموعة من الأليات أو الميكانيزمات كما اصطلح عليها علماء النفس .

أليات الدفاع النفسي :

أليات الدفاع النفسية التي درسها النفسانيون ، وأهمهم سيجموند فرويد ومن بعده ابنته أنا ، كثيرة ونلخص تعريفها في الميكانيزمات الدفاعية بأنها : مجموعة من الأساليب السلوكية التي تلجأ إليها الأنا؛ لكي تحصل على حاجة وجد ما يعيقها، أو تبعد عن نفسها خطرا واقعا، أو تتحاشى خطرا متوقعا، ومن الملاحظ أن هذه الميكانيزمات عامة، ومن الممكن أن توجد لدى الأسوياء، كما أنها تتصف بالشدّة والتطرف لدي المرضي، وترتبط باللاشعور ارتباطا قويا، ولكن بعضها شعوري. ومن أبرز الأليات : الكبت (Repression)، والإسقاط (Projection)، والإزاحة أو الإبدال (Displacement) والتعويض (Compensation)، والتقمص ... (Identification)، والإنكار (Denial)، والتسامي Sublimation والتبرير (Rationalization) (د. صهيب خالد، 2017، الصفحات 8-9)

ولا نريد منها كما اسلفت سابقا دراسة السلوك للحكم عليه ومعالجته بل نبحث عن مجموعة من التفسيرات للأعمال الابداعية وفق اسقاطات نراها ملائمة للسلوك وقد نجانب الصواب لذلك هي مجرد اجتهادات .

سلطة القبيلة والانتماء:

كانت للقبيلة في المجتمع الجاهلي سلطة على أفرادها لا يمكنهم الفكك منها حتى ولو أخرجوا عنها كرها أو طواعية حتى وان صار يعيش خارج اراضيها وإن جارت عليه في أمر ما أدى إلى استبعاده عن قومه يبقى منتما في الغالب ومحباً لها ولا يزال يذكرها ويعلن ذلك في كل زمان ومكان . وهذا ما نلمسه في قول أحد الشعراء المخلوعين من قبيلته (قيس بن الحدادية) مأخوذ بجريرة ارتكبها حيث يقول :

خزاعة قومي فإن أفتخر
بههم عزك ومعصري والنسب

يواسي لذي المحمل مولاهم
ويكشف عنهم غموم الكرب
(أبو فرج الأصفهاني، الصفحات ج2-4)

والشاعر هو أقدر شخص على التعبير فقد ذكر السيوطي أن القبيلة - في العصر الجاهلي - إذا نبغ فيها شاعر، أنت إليها القبائل، وهنأتها بذلك، وصنعت الأطعمة، واجتمع النساء يلعبن بالمزاهر، كما يصنعن في الأعراس؛ لأنه الحامي لأعراضهم، وهو المدافع عن أحسابهم، وهو الذي يخلد مآثرهم، ولم يكن يعدل فرحة القبيلة بالشاعر سوى فرحتها بسلام يولد أو فرس تنتج" (السيوطي، الصفحات ج2-473). فقد نشأ بين الشاعر وقبيلته ما يسمى " عقدا اجتماعيا وتحول إلى عقد فني جعله معبرا عن مشاعرها

وتطلعاتها قبل أن يكون معبرا عن مشاعره واتجاهاته الشخصية ، لذا اتجهت الأنا نحو النحن من خلال الفخر والاشادة بالقيم الجماعية التي تمثلها القبيلة فكانت الغاية قبلية وإن تكن الوسيلة فردية" (يوسف، الصفحات 147-175).

ويمكننا إذن أن نعرف الانتماء (Belouging) بأنه انتساب الفرد إلى جماعة معينة أو حزب معين أو ناد معين أو وزارة معينة أو مؤسسة عمل معينة . . بمعنى كونه عضوا فيها، أو واحدا منها له ما لأفرادها من حقوق وعليه ما عليهم من واجبات . و واضح أن الانتماء يعنى بالمستوى الشكلي أكثر من الجوهرى التلقائي. يرتضي معاييرها ولا يتوحد بها ولا يشاركها ميولها واهتماماتها. (طه و وآخرون، صفحة 68) وعلى هذا يجري موضوع بحثنا حيث الشاعر ملزم بهذا العقد الاجتماعي والعقد الفني رغم كونه مهمش لا يعبا به ولكنه لا ينفك يقول :

أذكر قومي ظلمهم لي وبغيبهم
بنيت لهم بالسيف مجدا مشيدا
وقلعة إنصافي على القرب والبعد
فلما تنهى مجدهم هدموا مجدي
(التبريزي، 1992)

ورغم ما يحسه من ظلم الا أنه يفخر بانتمائه لقومه في مواضع كثيرة يذكر أنه من عبس إليهم ينتهي نسبه وأصله وإن ظلموه و إن عيروه بأمة بأنها سوداء غرابية (نسبة للغراب للتشاؤم)
يقول في ذلك :

وأنا المجرب في المواقف كلها
منهم أبي شداد أكرم والدد
من ال عبس منصبي وفعالي
والأم من حمام فهم أخوالي
(التبريزي، 1992، صفحة 117)

المبحث الثاني : تطبيقي

ولد عنتر بن شداد في قبيلة عبس لأب من الأسياد الصرحاء معلومي النسب ، ولأم مملوكة أصلها حبشية سوداء اكتسب منها سواد لونه وانتقل إليه حكم العبودية كما جرت عليه عادة العرب الجاهليين ، وقد بينا سابقا سلطة القبيلة والالتزام الذي ينشأ بين أفرادها ، فكان واقع حياته ومجتمعه وتكوينه النفسي عوامل أدت إلى ظهور صراع نفسي لديه شأنه شأن كل شخصية سوية ، أضف إلى ذلك أنه لم يكن شخصية عادية فقد حباه الله بمجموعة من الصفات الخلقية والخلقية ما يؤهله لبلوغ مصاف الأشراف ونيل المجد والصراع النفسي أمر محتوم وهو في أبسط تعاريفه هو النزاع والتجاذب " الذي يدور رحاه بين جوانب النفس الثلاثة وهي الأنا والهو والأنا الأعلى. أو هو الصراع الذي ينشأ داخل النفس عندما يحبذ جانباً منها أمراً معيناً بينما يرفضه جانب آخر، أو عندما تكون إمكانيات الفرد محدودة ولديه أكثر من دافع ملح في نفس الوقت الذي لا يستطيع فيه إلا أن يشبع واحدا فقط منها وهكذا.

"الصراع داخل النفس شيء طبيعي وسوي، فكل منا يكابد هذا النوع من الصراع بدرجاته ومستوياته المختلفة ، شعورية ولاشعورية وكان هذا الصراع من سنة الحياة . لكن الفشل في حله هو الذي قد ينتج عنه مرض نفسي.

بمعنى أن المرض النفسي ينتج عن فشل في حل الصراع داخل النفس البشرية ، لكن ليس كل صراع ولا كل فشل في حله ينتج بالضرورة مرضاً نفسياً". (طه و وآخرون، صفحة 250) ومنه سنرى أن عنتر ليس مصاباً بمرض نفسي بل قد كابد صراعا بسبب مجموعة من العقد الناجمة عن ظروفه الاجتماعية .

ويمكن دراسة هذا الصراع من خلال محاور أربعة كانت الأشد بروزا في شعره ، وهي العبودية والنسب المجهول و سواد اللون ثم الأعراف والتقاليد .

1- العبودية :

العبد مسلوب الحقوق ، مسلوب الإرادة لا يصلح إلا للعمل والخدمة ، لا يكون فارسا ولا شاعرا ، بل ينكر ذلك منه وعليه ، ولا يؤخذ بقوله، وإذا أثر عنه شعر أو نثر كان محل ازدراء وسخرية بل وتعجب كيف يقرض الشعر مملوك ؟

وعنتر فتح عينيه على هذا الواقع المرير ، وعند بلوغه عرف من أمه أنه ابن سيد من سادات عبس لا يعترف به ، وبدت عليه مخايل الفروسية والنبل مما خلق له عقدة نفسية جراء الصراع المتأجج بين واقعته وبين ما يصبو إليه من خلال مؤهلاته الجسدية والأدبية خاصة بعد تفتق قريحته الشعرية ، وقد حاول إنهاء الصراع والركون الى الهامش من خلال قوله : العبد لا يحسن الكر والفر بل يحسن الحلب والصر .. لكن هذا لم يمه صراعه إذ بنهاية الحرب التي أبلى فيها بلاء شديدا يعود الحال على ما كان عليه . فأصبح هذا الحال عقدة نقص لديه وعقدة النقص (Inferiority Complex) هي مشاعر وأحاسيس مركبة تلازم الفرد الذي يحس

نقصا عاما في شخصيته أو نقصا محدد في جانب أساسي من جوانبها أو مكون هام من مكوناتها، سواء كان جسما أم عقليا أم نفسيا .

ولقد أقام أدلر مدرسته المسماة بعلم النفس الفردي ..على فكرة محورية خلاصتها أن الإنسان في نموه وفي كفاحه في الحياة إنما يستهدف أساسا تعويض إحساسه بالنقص ، بمعنى آخر التغلب على عقدة النقص حتى يحس القوة والسيطرة فيعوض بذلك قصوره " (طه و اخرون، صفحة 293)

وكانت هذه العقدة عند عنتره شديدة وملزمة له ، تندفع من اللاشعور أحيانا ومن الشعور غالبا لديه فنجده يعبر عنها في مواضع كثيرة من شعره يقول :

أنا العبد الذي سعدي وجلي	يفوق على السها في الارتفاع (التبريزي، 1992، صفحة 96)
أنا العبد الذي يلقي المنايا	غداة الروع لا يخشى المحاقا (التبريزي، 1992، صفحة 104)

لكنه من باب الإقناع العقلي لخصومه ومعانديه يقوم بمقابلة منطقية ، تدل على نباهة وبديهية قوية هذه المقابلة ينشئها عنتره في مجموعة من الأبيات المتشابهة ويقوم فقط بالاستبدال اللفظي ومن خلاله الاستبدال الدلالي ، لاحظ :

أنا العبد الذي خبرت عنه	وقد عايننتي فدع السماعا (التبريزي، 1992، صفحة 90)
أنا الرجل الذي خبرت عنه	وقد عايننت من خبري الفعالا (التبريزي، 1992، صفحة 112)
أنا البطل الذي خبرت عنه	وذكرني شعاع في كل الأفاق (التبريزي، 1992، صفحة 109)

يقول عنتره ليس عيبا أن تكون عبدا لكن يجب أن تكون رجلا له أفعال كريمة وخصال مسموعة فيصير بذلك بطلا يشيع ذكره في كل الأفاق .

بل يمكنه ومع كونه عبدا أن يساوي ألف حر ويلاقيهم في الحروب وينتصر عليهم

أنا العبد الذي خبرت عنه	يلاقي في الكريهة ألف حر (التبريزي، 1992، صفحة 86)
-------------------------	------------------------------------------------------

ويواصل عنتره نرجسيته الايجابية معوضا بذلك احساسه بالنقص في حريته وانسانيته ، فيشير الى أن عزة نفسه هي أساس بلوغ المراتب العلية

أنا العبد الذي بديار عيس	ربيت بعزة النفس الأبيية
سلوا النعمان عني يوم جاءت	فوارس عصبة النار الحميية
أقمت بصارمي سوق المنايا	ونلت بذابلي الرتب العلية (التبريزي، 1992، الصفحات 217-218)

ولا يكتفي عنتره عند حد الفخر بنفسه بل يدعو قومه للفخر بكونه واحدا منهم ، عيد اسمه عنتر

بني عيس سودوا في القبائل وافخروا	بعبد له فوق السماكين منبر
إذا ما منادي الحي نادى أجبته	وخيل المنايا بالجماجم تعثر
سل المشرفي الهندواني في يدي	يخبرك عني أنني أنا عنتر (التبريزي، 1992، الصفحات 79-80)

فكفاح عنتره في حياته استهدف تعويض احساسه بالنقص ، والتعويض من الأليات الدفاعية الطبيعية لدى الانسان و" هو حيلة من حيل التوافق تلجا إليها الشخصية أو النفس البشرية أو الأنا بشكل شعوري أحيانا، وبشكل لا شعوري أحيانا أخرى، وأحيانا ثالثة تجمع بين الشكلين. وتلجأ الشخصية إلى هذه الحيلة حين تحس نقصا في جانب فتريد تعويض هذا النقص والتغلب عليه بتقوية جانب آخر، " وهذا ما نجده جليا في شعر عنتره فهو لا ينفك يذكر أنه عبد ويكررها كثيرا .

والتعويض الذي لجأ إليه الشاعر هو نوع من التعويض الزائد Overcompensation تعويض زائد لقد شاع استخدام هذا المفهوم في كتابات أدلر» واعتبره استجابة طبيعية لدى الأفراد نتيجة الوجود عقدة النقص لديهم، ذلك أن الشعور بالنقص يجعل الفرد مهتداً على الدوام، وأنه لا سبيل ل تغلب على ذلك إلا بالتعويض ونشردان الكمال أو التفوق وكلما استحکم الإحساس بالنقص لدى الفرد " (طه و وآخرون، صفحة 131) فعنتره صار ينشد الكمال بل يرى أنه بلغه والآخرين قصرُوا عن ذلك وهم دونه وهذا في قوله :

علوت ولم أجد في الجوساعي
(التبريزي، 1992، صفحة 96)
على فلأك العلياء فوق الكواكب
(التبريزي، 1992، صفحة 37)
تخسر لعظم هيبتة البيوت
(التبريزي، 1992، صفحة 38)

سموت اللى عنان المجد حتى
ويبني بحمد السيف مجدا مشيدا
ولي بيت علا فلأك الثريا

ويقول بوضوح في هذه الأبيات عن طلبه المجد
فلأئن بقيت لأصنعن
ما ساءني لوني واسم زبيبة
من كان يجحدني فقد برح الخفا
ولأحمين النفس عن شهواتها
ولأجهدن على اللقاء لأرى
فلأغضبن عوانلي وحواسدي
فهناك لا ألوي على من لامني
مازلت مرتقيا اللى العلياء

حتى بلغت اللى ذرى الجوزاء
خوف الممات وفرقة الأحياء
ولأصبرن على قلبى وجواء
ما أرتجيه أو يحين قضائي
حتى أرى ذا ذمة ووفاء
ما كنت أكتمه عن الرقباء
إذ قصرت عن همتي أعدائي
عجائبا ولأبكمن بلاغة الفصحاء
(التبريزي، صفحة 22)

إن هذا الاسهاب في الفخر بالنفس هو كما قلنا من باب التعويض الزائد ، وهو ايجابي يعطي النفس الثقة اللازمة في مقابل ما تتعرض له من محاولة طمس وتقليل شأن يقول من خلاله المهتمش في مجتمعه ،ها أنا أثبت نفسي بجدارة وليست عوامل التهميش إلا أوهاما في رؤوسكم .

2- النسب المجهول :

كانت العرب قديما تعتد بأنسابها ومعرفة أباها وقلما يظهر مجهول نسب في أحياءهم ، حتى إن البغي إذا حبلت سألوها : هو ابن من ؟ فنقول هو لفلان فكان من لا ينسب لأب يبقى وضيعا يبعد عن مجالس الشرف ولا يقبل منه عدلا ولا صرفا ، وعنتره كان معدودا في جملة العبيد ووجد نفسه أسير عقبات اجتماعية تجسدت خصوصا في عدم اعتراف ابيه به حتى أثبت بطولة وشجاعة في الذود عن حمى قبيلته ثم أنه كان يعير بقلك نسبه عندما يفخر السادة بنسبهم يقول في ذلك :

فسيفي وهذا الرمح ، عمي وخاليا

ومن قال : إنني سيد وابن سيد

(التبريزي، 1992، صفحة 216)

حسامي ، والسنان إذا انتسبنا
(التبريزي، 1992، صفحة 195)

فسنان رمحي والحسام يقرلي

لا بالقرابة والعديد الأجل

(التبريزي، 1992)

ويقول ايضا قبل ان يعترف به أبوه :
جوادي نسبتي ، وأبي وأمي

أو أنكرت فرسان عيس نسبتي

وبذابلي ومهندي نلت العلى

إن إدراك عنتره لأهمية النسب في حياة المجتمع القبلي العربي وشعوره الدائم بعقدة النقص في هذا الجانب دفعه للتعويض من خلال ألية التسامي عن هذه العقدة وذلك بتجاوزها على أنها ليست معيارا حقيقيا بل المعيار عنده بالانتساب الى المعالي والحرب ، الى السيف والرمح .

التسامي إحدى عمليات التوافق وأساليبه التي يلجأ إليها الأنا في حله للصراعات النفسية التي تقع فيها الشخصية وذلك بأن يقوم بتحويل طاقة دافع مدان من موضوع أصلي تريد أن توجه إليه إلى موضوع آخر بديل مقبول اجتماعيا. وهذه العملية تتم أساسا على مستوى لا شعوري . (طه و واخرون، صفحة 116)

وكل هذا لم ينتج عنتره من لزوم الوصم له ومن ظلم الأقربين خصوصا وأدى ظلمهم لمثل حادثة افتراء زوجة أبيه عليه زورا وتعرضه للضرب حتى أشفقت عليه يقول :

كأنها صنام يعتاد معكوف

المال مالكم والعبد عبداكم

فهل عذابك عني اليوم مصروف
(التبريزي، 1992، صفحة 99)

تجللتني إدهوى العصا قبلي

ولازمه الحزن بعدها والانطواء لفترة حتى أن قوما أغاروا على ديار عيس وسلبوهم أموالا ، وتغلبوا عليهم ، فأسرع شداد يستنهض عنتره للذود عن اعراضهم وحياضهم ، فكان الجواب من العبد أن العبد لا يحسن الكر والفر بل يحسن الحلب والصر كما اسلفنا سابقا ، ونال على اثرها الاعتراف بأبوة شداد له فكان بعدها يقول مفاخرا :

من ال عيس منصبى وفعالي

وأنا المجرب في المواطن كلها

والأم من حمام فهم أخوالي

منهم أبي حقا، فهم لي والد

(التبريزي، 1992، صفحة 117)

ويقول في نسب أمه

أبوه ، وأمه من ال حمام

يقدمه فتى من خير عيس

(التبريزي، 1992، صفحة 145)

وعند صدام الخيل يا بن الاطايب
(التبريزي، 1992)

بعد ثبوت النسب الى عيس من جهة الأب ، بقي عنتره يعير بنسبه لأمه
ينادونني في السلم يا بن زبيبة

وهو يعجب من قولهم ولم يزد ذلك إلا اصرارا على بلوغ المعالي والافتخار بأمه ونسبها لآل حام من بني نوح حيث تقول كثير من الروايات أن حام هو والد كثير من البشر ومنهم السود .

3- سواد البشرة :

الاختلاف في الشكل واللون مظهر من مظاهر التفرقة والعنصرية عند كل البشر، والسود على وجه الخصوص تعرضوا للاضطهاد والاستبعاد ، وكان السواد عند العرب وصما ونقصا ودافعا للاستبعاد والتهميش . وهذا راجع لعدة أسباب أهمها تشاؤمهم من هذا اللون لما فيه من إحصاءات لليل المظلم والموت والغراب يقول ابو هلال العسكري " والورقة سود لا يخلطه بياض كدخان الرمث وهذا الأم الألوان (الخطيب، 2018، صفحة 346)

فلم يكونوا يرون في الرجل الأسود أكثر من كونه رجلا دنيئا سيء الطبع وهي نظرة دونية عانى منها عنتره ، وشكلت عنده عقدة نفسية ، لكنه لم ينكر سواد أمه ولا استعز منه بل نجده يقول مادحا لها:

وأنا ابن سواد الجبين كأنها
ضبع ترعرع في رسوم المنزل
الساق منها مثل ساق نعامة
والشعر منها مثل حب الفافل
والثغر من تحت اللثام كأنه
برق تلالاً في الظلام المسدل
(التبريزي، 1992، صفحة 134)

وأكثر أيضا من ذكر سواده في كثير من قصائده ولكنه إذا جاء به في شطر لا يطيل حتى يأتي بالمقابل الإيجابي ويظهر المعنى الخفي الذي يرى أنهم يغفلون عنه أو يتغافلون :

ومن قال إنني أسود ليعينني
أريه بفعلي أنه أكذب الناس
وان يعيوا سوادا قد كسيت به
(التبريزي، 1992، صفحة 88)
سواد بيضا حيين تبدو شماتلي
فالدريستره ثوب من الصدف
شبيه الليل لوني ، غير أنني
(التبريزي، 1992، صفحة 103)
جواد نسبتي ، وأبي وأمي
بفعلي من بياض الصبح أسنا
(التبريزي، 1992، صفحة 195)
حسامي ، والسنان إذا انتسبنا
(التبريزي، 1992، صفحة 195)

يقوم عنتره هنا بعملية التكوين العكسي و نقصد بالتكوين العكسي مبالغة الشخص في اظهار مشاعر و صفات و انفعالات و رغبات و دوافع مقبولة اجتماعيا لإخفاء ما لديه من انفعالات و رغبات غير مقبولة اجتماعيا فلو أنه غضب وقتل كل من عيره بسواد أمه وسواده لما أبقى على أحد في القبيلة ، بل لجأ لهذه الحيلة لإبراز عكس المواقف وإبراز الجوانب المضيفة الجيدة فيما يراه الآخرون سببا مثل قوله:

فإن تك أمي غريبية
من أبناء حام بها عبتني
فإني لطيف ببيض الطبي
وسمر العوالي إذا جئتني
(التبريزي، 1992، صفحة 201)

ولكن كل ما كان يقوم به شاعرنا لم ينجح من تجني قومه ومواصلتهم في ازدرائه وتهميشه ، يقول :

وأرضى بالإهانة مع أناس
محلك لا يعادله محلل
وقد أمسوا يعيوني وني بأمي
ولوني كلما عقودوا وحلوا

ينادونني وخيل الموت تجري
أراعيهم ولو قتلي أحلوا
(التبريزي، 1992، صفحة 116)

فالحيل النفسية التي تلجأ إليها الشخصية العنترية ، تنفعها في ذاتها فتتركها في حالة اتزان ورضى نفسي لا يزعه قول قائل ولا لحي لاح ، بل كان يزيد في إصراره ومضيه نحو العلا وطلب المجد فقد ذكر صاحب الديوان أنه جلس يوماً في مجلس من بعدما كان أبلى واعترف به أبوه وأعتقه ، فسأبه رجل من بني عيس ، وذكر سواده وأمه وإخوته ، فسبه عنتره وفجر عليه ، بل ان الرجل ادعى أنه أشعر من عنتره فانبرى له الشاعر العبسي الفحل وكان هذا سبب كتابة معلقته الشهيرة المسماة بالمذهبة (التبريزي، 1992، صفحة 147)

وصم السواد يقض جنب عنتره ويدرك أنه من بين الاسباب التي تجعله هامشياً في قومه ، لا يهنأ بالالتحاق بمركز القبيلة حتى بعد اعتراف أبيه به ، فاللاشعور عنده لم يتخلص من هذه العقدة فالأنا دائم الصراع مع الهو والاحتكام عنده دائماً الى الهو الأعلى وهو المبادئ والقيم والأخلاق الحميدة ومعاني الجمال في السواد كالليل بنجومه وكالقمر الذي لا يظهر جماله إلا لليل والمسك أسود في لونه عطر في رائحته.

4- مخالفة الأعراف :

عرف المجتمع العربي بالغيرة الشديدة على المحارم والمحافظة على العفاف وصون المرأة عن كل ما يندسها ، بل إن الحرة لم تكن تعرف بالزنا الذي يشيع بين الإماء وذلك ما دعا هند بنت عتبة عند مبايعة الرسول صلى الله عليه وسلم أن تستغرب وتقول باستفهام استنكاري : أو تزني الحرة ؟ والغزل و التشبيب بالنساء كان كذلك من المحرمات وخاصة يتجنب الشاعر ذكر اسم المحبوبة أو ذكر اسم قبيلتها أو اسم أبيها و من وقع في هذا المحذور ربما قتل بذلك وأقل عقوبة قد تقع عليه هي الطرد ليصبح خليعاً أو حرمانه من التزوج بمن تشبب بها .

وعنتره عرف بحبه لأبنة عمه عبلة يقول مصرحاً بذلك :

وإذا كان دمعي شاهدي كيف أجد	ونار اشـتياقي في الحشا تتوقد
وهيات يخفى ما أكن من الهوى	وثوب سقامي كل يوم يجدد
أقاتل أشواقى بصبري تجلدا	وقلبي في قيد الغرام مقيد
إلى الله أشكو جور قومي وظلمهم	إذا لم أجد خلا على البعد يعضد
خليلي أمسى حب عبلة قاتلي	وبأسى شديداً والحسام مهند (التبريزي، 1992، صفحة 54)

لكن لم يؤثر على وجه التحقيق أن عبلة بادلته الحب ، بل أنه يصرح في كثير من قصائده بشعوره بالتهميش من طرفها وللأسباب نفسها التي أتينا على ذكرها ، وخاصة سواد لونه .

لا تضحكي مني عبيلة ، واعجبي

ضحكت عبيلة إذ رأته عاريها

منمي إذا التفت علي جيوش
(التبريزي، 1992، صفحة 89)

ويخاطبها في موضع اخر مفتخراً بنفسه ومتحدياً بأنها لن تجد مثيلاً له :

وإن أبصرت مثلي فهاجريني

ولا يلحقك عار من سوادي
(التبريزي، 1992، صفحة 65)

ويقول أيضا :

فجبت منها كيف زلت عينها لا خير فيك كأنها لم تحفل
فتضاحت عجباً ، وقالت قولة عن ماجد طلق الـيدين شمردل
(التبريزي، 1992، صفحة 120)

ففي الأبيات السابقة دليل على نوع من الازدراء من قبل محبوبته عبله ، فينبري المحب الولهان إلى السعي للتعويض عما فاتته من حبها بالافتخار بشجاعته واستبساله في الحروب حتى يرضيها ، بل ومن عجب ما يفهم من شعره أنها غير راضية عنه لسواده !
دعني أجد الـى العلياء في الطالب وأبلغ الغاية القصوى من الرتب
لعل عبله تضحى وهي راضية على سوادي وتمحو صورة الغضب
إذا رأته سائر السادات سائرة تزور شعري بركن البيت في رجب
يا عبل قومي انظري فعلي ولا تسلي عني الحسود الذي ينيبك بالكذب
(التبريزي، 1992، صفحة 36)

ثم تمر بعنترة فترات أقرب ما تكون إلى اليأس من نيل مبتغاه فيبث ذاك في اشعار:

حسنتاتي عند الزمان ذنوب وفعالي مذممة وعيوب
ونصيبني من الحبيب بعناد ولغيري الدنو منه نصيب
كل يوم ييري السقام محب من حبيب ومال سقمي طيب
فكان الزمان يهوى حبيبا وكأني على الزمان رقيب
(التبريزي، 1992، صفحة 27)

و كما اسلفنا صاحب الشخصية القوية السوية يخالجه الخيال والأحلام لتسلية نفسه والترويح عنها وهو أن "الخيال يخفف عن الانسان الكثير من الضغوط الواقعة عليه , و من الممكن أن يصوغ الانسان العديد من السيناريوهات في عقله و بها يجد العديد من الحلول , اذا ما استخدمها استخداما أمثل في الوصول إلى نتائج تحقق الراحة النفسية , و لكن تصبح حالة مرضية باستمرارها و تحويل الواقع إلى أحلام يقظة و تخيلات , فلذلك لا بد و ان تخضع إلى ضوابط و محددات لعملها , لاسيما ان مكون اساسي في حياة الانسان طفلا كان او راشدا , سليما كان او مريضا , مستيقظا كان او حالما اثناء نومه , فالتخيل او الخيال هو الرجوع إلى عالم الخيال لتحقيق ما عجز عن تحقيقه في الواقع (المركز الجامعي بالحاج بوشعيب، 2017/2016)
يقول في ذلك :

إن طيف الخيال يا عبل يشفي ويداوى به فؤادي الكئيب
(التبريزي، 1992، صفحة 20)

ويقول ايضا :

أشفاقك من عبل الخيال المبهج فقلبك منه لاعج يتوهج
فقدت التي بانبت فبت معذبا وتلك احتواها عنك للبين هودج

(التبريزي، 1992، صفحة 40)

إن ورود النداء في أشعار عنتره لمحبوته عبلة بشكل مبالغ فيه فلا تكاد تخلو قصيدة من ذكرها بأسماء عديدة : عبلة وعيبل وبننت مالك وبننت العبسي... ومحاولته لفت انتباهها لبطولاته نوع من اظهار النرجسية الايجابية ونوع من التعويض النفسي في الاستبسال والشجاعة في الحروب، ثم توثيقها والافتخار بها وحق له ذلك .
بل إنني أزعج أن لولا حب عنتره لعبلة لكان تخلص من صراعه وحسمه إلى صالح الانضمام الى المهمشين وتمرد عن وضعه قولاً وفعلاً وخرج كما فعل الصعاليك المعروفون ودليل ذلك قوله:

ولولا حب عبلة في فؤادي	مقيم ما رعت لهم جمالا
خدمت أناسا واتخذت أقاربا	لعوني ولكن أصابحوا كالعقارب
ينادونني في السلم يا بن زبيبة	وعند صدام الخيل يا بن الاطايب
ولولا الهوى ما ذل مثلي لمثلهم	ولا خضعت أسد الفلا للثعالب (التبريزي، 1992، صفحة 35)

ويقول في موضع اخر

ومن يكن عبدا قوم لا يخالفهم	إذا جفوه ويسترضي إذا عتبوا
قد كنت فيم مضى أرى جمالهم	واليوم أحمى حماهم كلما نكبوا

واضح جدا من أشعار عنتره تحمله وصبره على الظلم والتعير له بما ليس له فيه يد في قبيلته منذ نعومة أظفاره إلا لأسباب قوية وأهمها تعلقه الشديد بعبلة إلى حد العشق ، تحمل الرعي والعمل الشاق ، وقاتل في كثير من المعارك ليسترد ما يسلب من قومها كرامة وحبا لها ، وفي احدى قصائده يشكو المصائب والاهوال التي لاقت به بأرض العراق محاولا جلب المهر المقترض من عمه مالك ، ثم يخذل ولا ينال مراده فيتعلل بالحلم والتمني .

الخاتمة

عنتره العبسي شاعر فحل وفارس مغوار لا يشق له غبار قد اجتمعت فيه كل الخصال الحميدة من خلق وخلق وفي المقابل اجتمعت عليه عوامل سلبية لا يد له هو فيها وهي العبودية والسواد والحب الميؤوس منه وأثرت في نفسه ، وخلق له صراعا عنيفا ، فلا هو عبد أسود من عامة العبيد ، يرضى بذلك ويبقى على هامش مجتمعه ، لا يقبل منه صرف ولا عدل ، ولا هو نال المكانة التي يستحقها بجدارة واقتدار ، وقد أسهب في ذكر هذه المنغصات في شعره ، مما يدل على وجود هذه المنغصات على شكل عقد نفسية لا تبارحه وتقض مضجعه ، لكن شخصيته القوية لم تستسلم للأمراض النفسية والوهن بل قد اندفع بمجموعة من الأليات الشعورية واللاشعورية ينظم دررا بين فيها قدرته الفنية واقتداره على أخذ مكانته بجدارة وبكل حزم وبكل قوة بيان وفصاحة لسان ومنطق حكيم :

انني امرؤ من خير عيس منصبا	شطري وأحمي سائري بالمنصل
إن يلحقوا أكرر وإن يسألحوا	أشدد وإن يلفوا بضنك أنزل

إن كنت في عدد العبيد فهمتي فوق الثريا والسماك الأعزل
و أنكرت فرسان عبس نسبتي فسنان رمحي والحسام يقر لي
وبذابلي ومهندي نلت العلى لا بالقرايبة والعديد الأجل
الساق منها مثل ساق نعامة ضيع ترعرع في رسوم المنزل
وأنا ابن سوداء الجبين كأنها والشعر منها مثل حب الفلفل
والثغر من تحت اللثام كأنه برق تلالاً في الظلام المسدل

(التبريزي، 1992، صفحة 134)

وفي هذه الابيات اجمل فيها عنزة كل السلبيات في حياته وقابلها بالإيجابيات عنده فهو في توازن يجعله يتغلب على الصراع الذي يعيشه وكان له من قوة العزيمة ورباطة الجأش ثم الشجاعة والقوة في الحروب وفي قرص الشعر، ثم تحليه بكريم الخلق ما جعله يتغلب على هذه العوامل ويضع لنفسه مكانة بين قومه وفي تاريخ العرب .

قائمة المراجع والمصادر :

- أبو فرج الأصفهاني. (بلا تاريخ). الأغاني. القاهرة: مطبعة التقدم.
- اسماعيل د. عز الدين. (بلا تاريخ). التفسير النفسي للأدب. القاهرة، مصر: مكتبة غريب.
- الخطيب التبريزي. (1992). شرح ديوان عنتر. بيروت: دار الكتاب العربي.
- الفيروز ابادي. (بلا تاريخ). القاموس المحيط (المجلد 2). (مجدي فتحي السيد، المحرر) القاهرة ،مصر: المكتبة التوفيقية.
- المركز الجامعي بالحاج بوشعيب. (2017/2016). محاضرة بعنوان الميكانيزمات الدفاعية. عين تموشنت، الجزائر.
- خليف يوسف. (بلا تاريخ). دراسات في الشعر الجاهلي. القاهرة: مكتبة غريب.
- د.شروق عبد المجيد سلمان الخطيب. (نيسان, 2018). عقدة اللون عند الأخرية في الشعر العربي قبل الإسلام . دراسات تربوية، الصفحات 343-344.
- د.فرج عبدالقادر طه، و اخرون. (بلا تاريخ). معجم علم النفس والتحليل النفسي. بيروت: دار النهضة العربي للطباعة والنشر.
- زينب محمد نور، و سارة تمكين شداد. (2018). المنهج النفسي في النقد الأدبي. 10. وزارة التعليم العالي -جامعة القادسية -كلية الاداب.
- عبدالرحمن جلال الدين السيوطي. (بلا تاريخ). المزهرة في علوم اللغة (المجلد ج2). (محمد أبو الفضل ابراهيم، المحرر) بيروت: دار الفكر.
- مجد الدين الفيروزأبادي، و فتحي السيد ت.مجدي. (ب.ت). القاموس المحيط. القاهرة،مصر: المكتبة التوفيقية.
- واخرون د. صهييب خالد. (يناير, 2017). ميكانيزمات الدفاع المستخدمة لدى المتأخرين دراسيا من طلبة المرحلة الثانوية. العلوم التربوية، ج 1.